الأهرام
مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: الجمهورية
التاريخ: ٢٠٠١/٦/٢٨

أيام السادات .. فيلم محترم .. حتى لو اختلفت معه

اختار الجانب المضيء في حياة الرئيس الراحل .. من البداية للنهاية

أحمد زكي فنان عملاق .. ونجاحه في تجسيد الشخصية مذهل

أقول له: الفن سياسة .. والاختيار وجهة نظر..!

محمد أنور السادات هو رئيس جمهورية مصر العربية في الفترة من عام ١٩٧٠ حتى يوم السادس من أكتوبر ١٩٨١ حيث اغتيل على أيدى الجماعات المتطرفة، وهو يحتفل بذكرى النصر العظيم الذى حققته القوات المسلحة المصرية على اسرائيل فى ذلك اليوم بعد ست سنوات من هزيمة يونيو عام ١٩٦٧، وبعد قضائه أحد عشر عاما حافلة فى الحكم، قبلها كان ضابطا بالجيش المصرى وأحد المناضلين الوطنيين ضد الاحتلال الإنجليزى لمصر قبل ثورة يوليو عام ١٩٥٢.

وارتبط اسمه بقضيتين احداهما اتهم فيها بالتخابر مع الألمان ضد الانجليز أثناء الحرب العالمية الثانية، جرد بسببها من رتبته العسكرية وطرد من الجيش وسجن ثم هرب ليمارس العديد من الأعمال المدنية المتواضعة، والثانية اتهم فيها باغتيال «أمين عثمان» أحد رؤساء وزارات العهد الملكى لكن برئت ساحته وخرج ليتزوج بزوجة ثانية تصغره باثنى عشر عاما من أم إنجليزية وأب مصرى وهى السيدة «جيهان رؤوف»، أحبته عبر متابعتها لقضيته كمناضل وطنى، حيث ينجح مرة أخرى فى العودة إلى الجيش ضابطا بواسطة الطبيب الخاص للملك «يوسف رشاد» الذى كانت تربطه به صداقة قديمة وقدم له خدمة إنسانية إبان حرب فلسطين.

ثم ينجح فى الانضمام لتنظيم الضباط الأحرار الذى قام بالثورة حيث قام البكباشى جمال عبدالناصر قائد التنظيم شخصيا بضمه، ثم يصبح بعد قيامها وإطاحتها بالملكية وإعلان الجمهورية أحد أعضاء مجلس قيادتها، ثم يتقلب فى العديد من المناصب المتنوعة بعضها هامشى والآخر خطير قبل أن يصبح نائبا لرئيس الجمهورية، وبحكم الدستور يتولى الرئاسة المؤقتة فى أعقاب وفاة الزعيم الراحل جمال عبدالناصر بأزمة قلبية فى سبتمبر عام ١٩٧٠، ثم رئيسا رسميا بعد استفتاء شعبى فى نفس العام.

ثم بعده بعام واحد ينجح فى إقصاء ومحاكمة وسجن المسئولين التشريعيين والتنفيذيين للنظام الذى مات عبدالناصر وتركه «مراكز القوى» كما أطلق عليهم فى عام ١٩٧١، وليصبح المتحكم فى صنع القرار فى تاريخ مصر سياسيا واقتصاديا واجتماعيا طوال تلك الحقبة بمفاتيح ومفردات جديدة عن اللغة التى سادت طوال عشرين عاما سابقة.

هذه هى رحلة انور السادات السياسية بشكل مختصر جدا كما رواها فيلم «أيام السادات» والتى يمكن لأى قارئ أن يستخلص منها بسهولة أنه امام شخصية تاريخية بمعنى الكلمة، ولا يمكن بحال التشكيك فيها من قريب أو بعيد كما تنسب إليه باقى احداث الفيلم فيما يشبه جزءا ثانيا، أنه داعية سلام بعد أن نجح بعد حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣ ومفاوضات السلام التى بدأت عام ١٩٧٤ وانتهت بزيارته التاريخية لإسرائيل فى ١٩٧٧ ثم توقيع معاهدة السلام مع إسرائيل فى «كامب ديفيد» ١٩٧٨ وكان رئيس وزرائها فى ذلك الوقت «مناحم بيجن» تحت رعاية الولايات المتحدة الامريكية وكان رئيسها «جيمى كارتر» وبموجبها استردت مصر كل أرضها التى احتلت عام ١٩٦٧ باستثناء طابا التى عادت عبر التحكيم الدولى فى عهد الرئيس حسنى مبارك بعد ثلاث سنوات من اغتيال السادات.

كما أنه ـ أى الفيلم ـ يرصد على المستوى الشخصي، أنه عاش حياة اجتماعية جميلة مستقرة رائعة رغم زواجه مرتين، كانت الزوجة الثانية فيها ـ وركزت عليها الأحداث وحدها ـ هى التى احبته واحبها ورفيقة رحلة كفاحه حتى صعوده وبلوغ آفاق النجوم بتوليه منصب الرئاسة حتى وفاته، وظلت وفية له حتى الآن والتى اشتهرت باسم السيدة «جيهان السادات».

فى نفس الوقت لم تحظ الزوجة الأولى السيدة «اقبال» سوى بمشهد واحد عقب خروجه من السجن فى قضية التخابر مع الألمان ولقائه بها، لا يفهم منه سوى انها زوجة مهزومة تماما لمجرد أن زوجها زج به فى السجن وتركها!.

وهذه الصورة عنه والتى رصدتها المعالجة السينمائية التى كتبها احمد زكى بنفسه ومن بعده سيناريو الفيلم الذى كتبه الصحفى والكاتب «أحمد بهجت» والمأخوذة

مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

عن كتابى «البحث عن الذات» الذى كتبه السادات عن نفسه و«امرأة من مصر» للسيدة جيهان السادات وتكاد تكون متطابقة معهما. وبعيدا بالطبع عن التفاصيل الكثيرة التى يضمها الكتابان وتكاد تكون قصصا كاملة تشكل كل واحدة منها فيلما سينمائيا بذاته، وبما يحتويه من حبكة وشخصيات وغموض وتشويق وإثارة، فهى حياة حافلة بمعنى الكلمة.

وهذا هو مربط الفرس حينما يفكر احد أن يتعرض لفيلم عن السادات أو غيره من الرؤساء أو الشخصيات التاريخية عموما.. سعد زغلول أو مصطفى كامل أو جمال عبدالناصر.. أو روزفلت وتشرشل أو ماوتسى تونج.. فالقضية واحدة إنك أمام كم هائل من التفاصيل والمعلومات والمواقف العامة والخاصة اذا ما استندت الى هذه المصادر المؤيدة فقط وجعلتها مرجعك ايا منها تختار، كلها أو بعضها خصوصا لو كنت ستقدم عملا يتناول سيرتها من المنبع الى المصب بل احيانا تمتد ايضا حتى لو ستختار مرحلة بعينها فقط.

كما تزداد الصعوبة والمشقة لو قررت اللجوء إلى مصادر أخرى لانك سوف تكتشف فورا أنك دخلت متاهة مذهلة فيما بين المؤيد والمعارض، ويصبح الأمر كارثة اذا ما كانت الشخصية موجودة الى وقت قريب ومازالت اطراف عديدة ممن عاصرتها حية ترزق تستطيع التعبير عن وجهة نظرها باللسان والكتابة بشكل عام وفى أدق التفاصيل، أى ان المسألة ستدعو للرثاء على من يغامر ويقدم على هذه الفعلة.

إيجابيات السادات

تلك هى المقدمة التى كان يجب على بكل الأمانة النقدية سوقها قبل التعرض لفيلم «أيام السادات» انتاج وبطولة «احمد زكي» بمشاركة قطاع الإنتاج باتحاد الإذاعة والتليفزيون واخرجه «محمد خان» بعد فترة طويلة من التوقف!

كذلك تقتضينى الأمانة الاعتراف انى توجهت لمشاهدة الفيلم فى عرضه الخاص، بعد مشاهدتى له فى لجنة المهرجانات التى أتشرف بعضويتها أى هى المشاهدة الثانية له بعد أن كونت رأيا عنه احتفظت به سرا طبقا لما تقتضيه تقاليد اللجنة، ولا يجب بحال طرحه فى أى مكان حتى للمقربين أو الكتابة عنه قبل عرضه عرضا عاما، بعدها يصبح من حق الجميع إبداء رأيهم فيه بشكل ديمقراطى عادل.

لكننى إذا كانت هناك ميزة حصلت عليها - إذا ما كان ذلك ميزة - أننى من بين قلة قليلة شاهدته مرتين، ومن ثم أتيح لى التوفر عليه بالنقد والتحليل بدقة تفوق من شاهده مرة واحدة، بالإضافة لقيمة المشاهدة بشكل منفرد فى المرة الأولى وبشكل عام وسط حضور كبير فى الثانية وكل منهما لها تأثيرها الهام.

لذا أول ما يمكن أن أقوله.. إننى أمام فيلم سينمائى مصرى تحترم وجهة نظره حتى لو اختلفت معها كليا أو جزئيا، أى احترام وجهة نظر غيرك فى الفن مادام فنا جادا.. أى فن.. ويبدأ من ادراكك لصدق الذى امامك مع نفسه، بمعنى ان من يتصدى لتقديم عمل فنى لابد أن يكون متحليا حقيقة بهذه الصفة، ولم يتصد له بهدف المتاجرة به خصوصا اذا ما كان البعض يتفق معى أنه قد اصبح قليلا جدا فى السينما المصرية حاليا ما يحمل وجهة نظر أو حدا أدنى منها يمكن اصلا التوقف امامها!!

وثانيا أنه يقدم بأمانة كاملة ما يؤمن به حتى لو اختلفت معه الدنيا كلها، وهذا هو ما فعله احمد زكى حينما قدم السادات كما يرى نفسه ويراه هو من بعده، وما أحب أن يراد الناس عن هذه الشخصية من دون تعليق حتى على تناقضاتها.

«وبصرف النظر إننا ايضا فى هذا الفيلم امام حالة سينمائية خاصة مخرجها ليس هو الذى فكر فيها واقترحها انما هو الممثل الذى تبناها

وجعلها شغله الشاغل كشخصية تؤرقه ينام ويصحو بها وبمعنى أخر أن الممثل هو الذى اختار المخرج وليس العكس».

إن السادات هو المناضل الوطنى.. الثورى.. الزعيم المنتصر.. رجل السلام الذى ضحى بحياته من أجله.. ايضا المؤمن بدولة المؤسسات والاقتصاد الحر.. الديمقراطى المؤمن بحرية الرأى وتعدد الأحزاب.. الذى لم يتخذ قرارا فى حياته الا عبر وجهة نظر وقناعة وإيمان كامل.. «خذ عندك مثلا انتفاضة الخبز فى ١٨ و١٩ يناير عام ١٩٧٧ التى رأى أن سببها تافه، وهو رفع سعر بعض السلع قرشا واحدا على المواطن العادى الغلبان، انها إذن مؤامرة وانتفاضة حرامية كما أسماها»!! و«خذ عندك قبل اغتياله بعام حينما جمع كل معارضيه من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين ووضعهم فى المعتقلات، مبررا هذا عبر المشهد الذى جمعه وزوجته والاسباب التى ساقها لها بإيمان حقيقى «عن دوافعه النبيلة من وراء ذلك»، ورغم تعارضه مع الديمقراطية التى ظل يعلنها مطبقا مقولة شهيرة سابقة له «ان الديمقراطية لها أنياب» ومعارضتها المرة الوحيدة فى الفيلم له، مذكرة إياه بأن ذلك يتناقض وشعار عهده منذ تولى الحكم بغلقه المعتقلات إلى الأبد».

لكن هذا هو السادات فعلا كما كان يفكر وكما قدمه احمد زكى بالضبط ومن دون تعليق أو وجهة نظر حتى فى هذه التناقضات نهائيا!!

بالإضافة لجانب اقتطع جزءا كبيرا من الاحداث عن ذلك الانسان الريفى البسيط والزوج المحب المخلص الوفى لبيته واولاده بعد ان بدأ يعلو كعبه ويصبح محط الأنظار بعد مقتل أمين عثمان كبطل يثير لعاب الفتيات المتتبعات للقضايا الوطنية وهو شيء منطقى فى زمن التنوير وزمن قاسم أمين وأحمد لطفى السيد، الذى بدأت المراة فيه تبحث عن هويتها ودور فى صياغة مستقبل الوطنية المصرية.. إلخ.

صدق أحمد زكى

كذلك أنت تحترم هذا الفيلم واحمد زكى ومن خلفه صناعه وعلى رأسهم كاتب السيناريو لأنهم اختاروا اصعب اشكال التناول وهو السيرة الكاملة للشخصية وعدم تناول مرحلة بعينها، أى قصة حياته من المنبع للمصب أى من الطفولة حتى الممات، ومع ذلك استطاعوا ان يجعلونا مشدودين لمدة ثلاث ساعات بالتمام والكمال، نتابع دون ملل أحداثه وتدفقها بسلاسة ومنطقية رغم قيام البناء الدرامى على منطق الانتقاء، والذى اعرف وغيرى ممن عاشوا مرحلة السادات كلها وتأثرنا بها، أن هناك ما يزيد على الحصر من مواقف هامة وخطيرة ومرعبة ثم القفز عليها ورغم ذلك قبلت باقتناع اشبه بسحر ساحر الاندماج مع ما هو معروض امامي.

لذا اقول ان تلك هى البراعة بعينها ان اتجاوز هذه المواقف ولم اقفز محتجة مثلا امام النقلة الزمنية التى قفزها السيناريو مرة واحدة من العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ الى هزيمة عام ١٩٦٧ وهى مرحلة هامة وخطيرة فى مسيرة السادات على العكس مما يتصور البعض، أو بجملة واحدة ربما يكون فيها التعبير الدقيق عما أقول، أنه بما ان الفيلم وصناعه قرروا منهجا وقررت أنت تقبله من أول وجهة النظر التى ينطلق منها فمن باب أولى أن تقبل بكل ما يأتى بعد ذلك بما فيه هذا المنهج الانتقائى حتى لو كانت المرحلة التى تم القفز عليها فيها اشياء اخطر ما تكون عن الشخصية مثلا وتجعلك تضع علامات استفهام كبيرة حولها.

●● الأمر الثانى الذى جعلنى احترم وجهة نظر هذا الفيلم هو بطله نفسه احمد زكى هذا الممثل الذى ما من دور شاهدته له ـ منذ ميلاده وكنت من أول من بشر به ومنذ قدم أدوارا صغيرة حتى تبوأ البطولة ـ إلا وذاب بكليته فيه لدرجة يستحيل عليك تصور شخصية أخرى سواه فيها، وفى هذا الفيلم يحقق عملاقية فى تقمص شخصية كانت بيننا الى وقت قريب

واعترف انني في عديد من اللقطات وخاصة البعيدة، اختلط علي كثيرا أيهما السادات الحقيقي خصوصا ان هناك لقطات تسجيلية للسادات نفسه في الفيلم.

بيد أنه في المقابل فان هذا الممثل العجيب بحق ينجح في الاحتفاظ دائما بهامش ما يذكرك أنه احمد زكي، أو كأنه يقول لك «خد بالك يا حبيبي أنا أحمد زكي.. أو مصيبة لتكون صدقت إن اللي شايفه ده السادات..»! وهو ما يؤكد هذا الجهد الخارق الذي عاشه هذا الفنان حتى يصبح تلك الشخصية، ولا يدانيه فيها عالميا سوى بطل فيلم غاندي «بن كنجزلي» في فيلم الممثل والمخرج الإنجليزي «ريتشارد اتينبورو».

●● الأمر الثالث الذي يجعلني احترم وجهة نظر هذا الفيلم هو مستوى انتاجه الذي مهما كان بالنسبة للسينما المصرية فهو صفر انتاجيا بالنسبة لميزانيات الافلام من هذا النوع في السينما العالمية وخذ عندك مادا تكلف غاندي ما دمنا ذكرناه. وكم من أعوام ظل مخرجه ومنتجه يحضر له ما يقرب من عشرين عاما إلا أننا بالرغم من ذلك امام فيلم مشرف انتاجيا وقد ظهر ذلك واضحا في اخراج محمد خان المخرج له، وتصوير طارق التلمساني وتنوع اماكن تصويره التي اشرف عليها فنان الديكور أنسي أبوسيف، ومونتاجه الذي اشرفت عليه المونتيرة الكبيرة نادية شكري وموسيقاه للموهوب المبدع يسري عبدالرحمن والذي قدم جميع الممثلين من أكبر الأدوار مثل ميرفت أمين ومنى زكي حتى مخلص البحيري ورؤوف مصطفى وليلى شعير وسلوى عثمان وسيد عبدالكريم وغيرهم افضل ما لديهم وكانوا عند مسئولية من يعرف انه يقدم عملا سيدخل تاريخ السينما وسيبقى.

الرأى الآخر

يبقى في النهاية أن أقول ان احترام وجهة النظر في فيلم يحمل وجهة نظر واضحة أي فيلم، لا يعني وبكل الموضوعية ان تكون تلك هي وجهة نظرك والتي قد تكون مختلفا معها كليا أو جزئيا كما سبق أن ذكرت، ولست في هذا وحدي حيث اختلف في بعض ما جاء في الفيلم وفي عملية الانتقاء التي تمت ودوافع ومبررات الرئيس في قضايا كثيرة طرحت وهذا حقي، كما اختلف الكثيرون وكتبوا عن السادات مقالات وكتبا، وصلت ببعضهم الى التشكيك في حياته الشخصية من أول علاقته بزوجتيه إلى العدل بينهما وأولادهما ثم أخوته الذي لم يتردد حكم الرئيس مبارك في تقديمهم للمحاكمات وحسابهم في ظل شعار طهارة اليد.. الخ، ثم شخصيته العامة الى حد اتهامه بانه كان جاسوسا فعلا للألمان، وأنه زج به ظلما في قضية مقتل أمين عثمان، وأنه كان ضابطا بالحرس الحديدي الخاص بالملك واتهم بالخيانة والعمالة للامريكان كعميل «للسي آي إيه» منذ عام ١٩٦٠ وبالوثائق والمستندات لا بالكلمات وانه بعد توليه الحكم واستشعاره الخطر من التيارات اليسارية في عهد عبدالناصر والتي راحت تعارضه فانه هو الذي اخرج التيارات الاصولية الى الساحة السياسية ودعمها وحرث لها الارض لتنمو وتشكل جماعات الارهاب التي اغتالته فيما بعد «هناك اشارات واضحة في الفيلم تؤيد ذلك على وجه الخصوص».

كما أنه باخراجه تلك العناصر من السجون والمعتقلات وتعيين مسئولين لهم نفس الاتجاهات في مناصب هامة من امثال محمد عثمان اسماعيل محافظ اسيوط في منتصف السبعينات، كان من عوامل اثارة الفتنة بين ابناء الوطن الواحد، حتى نصر أكتوبر الذي حققته قواتنا المسلحة الباسلة وأدى هذا النصر بمواقفه السياسية المتخاذلة إبان مفاوضاته السياسية لتحقيق السلام بمعنى ان النصر الذي صنعه العسكريون هزمه السياسيون «مذكرات الفريق محمد عبدالغني الجمسي رئيس اركان حرب القوات المسلحة في هذه الحرب» والى آخر تلك الاتهامات التي قدمها الكاتب الصحفي الكبير محمد

حسنين هيكل فى كتابه «خريف الغضب» «وأكتوبر السلاح والسياسة» مثلا وانه يوم مات كان قد خسر الشعب المصرى كله بكل فئاته كل لأسبابه بعد أن وضع الجميع فى المعتقلات فى سابقة لم تحدث فى تاريخ مصر

بيد أن كل هذا وبمعيار النقد الموضوعى الصحيح هو وجهة نظر أخرى قد يكون مكانها فيلما أخر أو أفلاما أخرى عن السادات. اعتقد انها لن تتحقق ابدا لا لأن صناعه غير موجودين ولا لأن هامش حرية التعبير لن يسمح. إنما لأن السينما المصرية المنهارة لن تستطيع فى المدى القريب أو البعيد سوى البحث عن تقديم كل ما يحقق الربح بأسهل الطرق والدليل هو هذا الفيلم نفسه «الذى فشل أحمد زكى فى أن يجد ممولا له لمدة ثلاث سنوات فقرر أن يخوض انتاجه بمبادرة فردية ثم نجح فى أن يشرك اتحاد الاذاعة والتليفزيون معه».. بينما أسرعت شركة «هيرمس» مثلا بالحصول على حق توزيعه بعد احساسها بأنه سوف ينجح تجاريا. كلمة أخيرة تحية لأحمد زكى هذا الفنان الذى لن تجود السينما المصرية بمثله والذى انتج هذا الفيلم ومهما اختلفنا أو اتفقنا معه فى أفكاره السياسية، لكن نصيحة له ليته يكف عن قول جملة لا تليق به كفنان رائع كلما حدثه أحد عن السياسة فى فيلمه فيقول «أنا أتحدث فن لا سياسة» لأن أى عمل فنى لابد ان يحمل وجهة نظر سياسية ما.. وما رأيناه هو فيلم سياسى يمجد الرئيس الراحل محمد أنور السادات. والا ماذا يكون التمجيد بعد كل هذا!؟

من جانب أخر حتى لو افترضنا جدلا أنه قدم عملا فنيا بلا وجهة نظر سياسية على الإطلاق كما يحاول ان يصور فهذه سياسة رغما عن أنفك ايضا يا أحمد يا زكى!!